## هوامش

قبل أيام، نُشر مقطع الفيديو على موقع يوتيوب. فيلم خيال علمي قصير، وساخر، عن الحياة في قرية روسية افتراضية في المستقبل. يستعرض المقطع ظروف الحياة في «القرية السيبرانية الروسية»

صُور الفيديو في مزرعة حقيقية في مقاطعة ريازان (Getty)

# القرية السيبرانية الروسية

## كبعد الأرض عن المريخ

سامر إلياس

بعد نحو خمسة أيام على تحميله على يوتيوب، حقق مقطع فيديو «القرية السيبرانية الروسية» نحو 3,5 ملايين مشاهدة. ومع أن مدة الفيديو الساخر لا تتجاوز أربع دقائق ونصف الدقيقة، فقد استطاع الغوص في تناقضات الحياة الروسية الحالية الجامعة بين التخلف التقني، وموت القرى والأرياف في أنحاء روسيا شاسعة المساحة، وحياة المعاناة مع الطرق وانعدام الخدمات من جهة، ومتابعة أنباء التطور التقني في روسيا والعالم، ومخططات قيادة البلاد لإرسال بعثات لاستكشاف الكواكب في المجموعة الشمسية، وإرسال بعثات للاستيطان خارج الكوكب الأزرق، رغم أولوية تأمين خطوط مواصلات واتصالات عصرية بين موسكو والأرياف.

نُشر مقطع الفيديو على موقع يوتيوب يوم 19 من الشهر الجاري، وهو عبارة عن فيلم خيال علمي قصير عن الحياة في قرية روسية افتراضية في المستقبل. يستعرض المقطع على لسان مزارع روسي، يتحدث بلغة إنكليزية ضعيفة، ظروف الحياة في «القرية السيبرانية الروسية»، التي تحمل اسم «مقاطعة ريازان»، في إشارة إلى منطقة ريازان التي تبعد عن موسكو 200 كيلومتر.

يظهر الرجل محاطاً بروبوتات تحلب الأبقار، وتعمل على رعاية الحيوانات والطيور، إضافة إلى الزراعة، بينما يتحدث عن حياته وعن منتجات المزرعة، قائلا إنه «ليس حقيقياً أننا دولة متخلفة تقنيا، فلدينا روبوتات حديثة»، معرباً عن شكره للحكومة التي تمنح المزارعين «روبوتات آندرويد لدعم أعمالنا»، في إشارة ساخرة على ما يبدو لتجاهل الحكومة الروسية للمزارعين الروس، الذين لا يحظون بدعم وتتراجع أعمالهم في ظل عدم قدرتهم على التنافس مع المنتجين الأجانب.

يظهر المزارع، واسمه نيكولاي، وهو يقود سيارة قائلاً: «يقولون إن الطرق لدينا سيئة، هذا كلام فارغ. نحن لا نحتاجها»، ليظهر أن السيارة التي يقودها من طراز سوفييتي قديم، تحلق على علو منخفض عن الأرض على محركات نفاثة. مع إشارة مرورية تحذر من «مطبات هوائية»، في إسقاط على أزمة الطرق المستعصية في روسيا. بعد هذا، يظهر نيكولاي حاملاً طردا بريديا، مبديا سعادته بوصوله بفضل استخدام بريد روسيا عربات طائرة، ولكن البطل يكشف لنا أنه استلم الطرد بعد انتظار طال لنحو سنتين.

### باختصار

يظهر الفيديو مزارعاً محاطاً بروبوتات تحلب الأبقار، وتعمل على رعاية الحيوانات، إضافة إلى الزراعة، بينما يتحدث عن حياته وعن منتجات المزرعة.

■■■

يختتم الفيلم القصير بارتفاع الكاميرا في الجو، ليتضح أن القرية السيبرانية الروسية عبارة عن مستعمرة روسية موجودة على كوكب المريخ.

■■■

بثّ صناع الفيديو فيه أغنيات تراثية روسية حوروها للحديث عن الدرونات ووحدة الروبوتات، وحزن «طيور الكوادركوبتر» التي لا أعشاش لها.

لم يكتف منتجو الفيلم القصير بإظهار التقنيات الروبوتية والسيارات الطائرة والجرار الذري، في ظروف القرية الروسية الواقعية، بل قاموا ببث أغنيات تراثية روسية حوروها للحديث عن الدرونات ووحدة الروبوتات، وحزن «طيور الكوادركوبتر» التي لا أعشاش لها، مع عرض حياة القرية والأبقار والأغنام التي ترعاها روبوتات طائرة تحمل عصيا.

كما يستعرض نيكولاي «ظروف المعيشة الأفضل» لعمال المستقبل الراغبين بالانضمام إلى القرية السيبرانية، مستعرضا بيتا قديما صدئا كمكان مثالي للإقامة، ويعرض دورة المياه المتعارف عليها في القرى الروسية، وهي عبارة عن حفرة في الأرض، مع استبدال الحفرة بثقب أسود للتخلص من الفضلات.

كما يستعرض مزارع المستقبل ثمار الخيار الشبيهة بمحطة الفضاء الدولية، التي تنمو في مزرعته. وقبل اختتام الفيديو بأغنية تراثية أخرى، تتحدث عن مشاكل الطائرات المسيرة، ومعاناتها عند انتهاء شحنها وانقطاع اتصالها بنظام الملاحة العالمي «جي بي إس»، يستعرض نيكولاي كيف أن التقنيات الحديثة جعلت من غير الضروري ترميم الصروح التاريخية مثل كنيسة القرية، مفعلا نظام واجهة هولوغرامية تغطي واجهة المبنى المتداعية، إلا أن مهمته لم تتكلل بالنجاح نظرا لإرسال الإنترنت الضعيف الذي لا يسمح بتحميل الواجهة الافتراضية البديلة بشكل كامل.

ويختتم الفيلم القصير بارتفاع الكاميرا في الجو، ليتضح أن القرية السيبرانية الروسية عبارة عن مستعمرة روسية موجودة على كوكب المريخ، وليس على الأرض، فيما يبدو أنها إشارة مبطنة إلى بعد المناطق الروسية مثل مقاطعة ريازان والقرى فيها عن العاصمة موسكو من ناحية التطور والخدمات، كبعد المريخ عن الأرض.

وتم إنتاج مقطع الفيديو بفضل جهود شخصية لعدد من المبدعين الشباب، ولم يضم ممثلين سوى المزارع نيكولاي، أما بقية الروبوتات في المزرعة فقد كانت عمالا حقيقيين تم تصويرهم أثناء أداء عملهم، وبعد ذلك تحويلهم عبر تقنيات المونتاج إلى روبوتات. وصور الفيديو في مزرعة حقيقية في مقاطعة ريازان في شهر أغسطس/ آب الماضي، وعملت عدة فرق من الشباب لإضافة مؤثرات الفيديو والصوت.

## وأخيراً

# في تذكّر «مُطاوع وبهية»

معن البياري

ذريعتان تتوسّلهما هذه المقالة في تذكّرها ذلك الفيلم العراقي المصري (أو العكس) المنسي «مُطاوع وبهية»: أولاهما، أنه عن قصةٍ للراحل قبل أيام، سعيد الكفراوي، هي الوحيدة له من بين كل إنتاجه (في 12 مجموعة) ينجذب إليها مخرجٌ سينمائي، فيما قصصٌ كثيرة له تتيسّر فيها أسباب غواية السينما. وهذا المخرج عراقي، وأنتجت فيلمه الذي عُرض في العام 1982 مؤسسة السينما والمسرح العراقية، وتم تصويره في قريةٍ قرب بغداد، غير أنه فيلم مصري بكل ما فيه. ولغيري أن يقول ما يقول في أسباب عدم التفات أيٍّ من صنّاع السينما المصرية إلى أيٍّ من قصص صديقنا الباقي. أما الذي في وسعي فهو أن أرجّح أن انتباه المخرج العراقي، صاحب حداد (1995)، إلى قصةٍ منشورةٍ في مجلة الحوادث، في 1979، لكاتبٍ مصري يعمل في السعودية، اسمُه سعيد الكفراوي، إنما كان إلى موضوعة القصة، في ظرفٍ عربي، كان المزاج العام فيه ضد الصلح الذي أقامه أنور السادات مع إسرائيل. والقصة في متن هذه القضية، وعنوانها طريف، ليس في طوله فحسب، وإنما أيضا في التباسٍ بادٍ فيه بين متخيّل وحقيقي، «حكاية الفلاح الفصيح مطاوع عبد الصبور أبو العزايم مع الرئيس المؤمن محمد أنور السادات شخصيا» (هذا اسم القصة).

أما ثاني الذريعتين لاكتراث هذه السطور بفيلم «مطاوع وبهية»، والذي كان ممنوعا من العرض في مصر، وانكتب إن نظام حسني مبارك حافظ على منع عرضه، أنه صيحةٌ ضد أي علاقة عربية بإسرائيل. ولا أتزيّد، هنا، في القول، إن قصته كانت صيحة سعيد الكفراوي «لا تُصالح»، وإنه صيحة السينما العربية «لا تُصالح»، بعد قصيدة أمل دنقل «مقتل كليب – الوصايا العشر»، والتي اشتهرت باسمها الذائع «لا تُصالح» بعد زيارة السادات القدس المحتلة، ثم توقيعه «كامب ديفيد» في 1978 ومعاهدة السلام في 1979، وكان دنقل قد كتبها في نوفمبر/ تشرين الثاني 1976، بعد توقيع اتفاقيات فضّ الاشتباك بين مصر وإسرائيل. ولأن اتفاقيات التحالف العربية مع العدو الإسرائيلي تتوالى، في الراهن السخيف، فإن انتشال «مطاوع وبهية» من النسيان، يصبح مهما، بل وضروريا ربما، سيّما وأنه فيلم سينمائي طيّب المستوى فنيا، وممتعٌ للمشاهدة، بأداء أبطاله كرم مطاوع وسهير المرشدي وعبد الرحمن أبو زهرة وعبد الحفيظ التطّاوي وسعد أردش. ودافع الضرورة حماية تلك البادرة الفنية من النسيان، وتذكّر زمنٍ كان فيه فنانون عرب يصنعون فيلما عربيا ضد سلامٍ مزعوم مع إسرائيل، بمشاركة مصرية وإخراج وإنتاج عربيين، وبأداء ممثلين عراقيين ومغاربة (بهجت الجبوري وإقبال نعيم ومحمد حسن الجندي)، فيما نحن في زمنٍ يُستقدم فيه ممثلٌ مصريٌّ خفيف القيمة إلى احتفالٍ ساهر في دبي مع مغنين صهاينة. اختار المخرج صاحب حداد، وهو مشارك مع زهير الدجيلي في كتابة السيناريو والحوار، أن يكون للفلاح مطاوع عبد الصبور أبو العزايم ابن وحيد استشهد في حرب أكتوبر، وليس له أربع بنات، وأخ شهيد في تلك الحرب، كما في القصة. واختار لبهية، زوجة مطاوع، مساحةً أعرض، وبدت شخصيةً لها ترميزها إلى إرادة الغاضبين الحانقين، المسالمين. واختار أن تكون قفلة الفيلم، عندما يجلس مطاوع إلى الرئيس أنور السادات «ما تصالحش القتلة يا ريّس»، فيما في قفلة القصة «ما تصالحش اليهود يا ريّس». يقول مطاوع، في الفيلم، جملته هذه للرئيس أنور السادات (شخصيا، بحسب القصة والفيلم) في القصر، ثم يردّدها مرات ونحن نشاهد الأهرامات والنيل وميدان التحرير ونجوعا وأريافا وشمسا تغيب في الختام، فيما في القصة «سحبوا مطاوع من قفاه كالفريسة»، بعد أن قال كلمته، وأحسّ أنه «ألقى بحمله الثقيل في وجه العاصفة واستراح». وكان قد أرسل ثلاثة «تلغرافات» من القرية التي بلا مركز بوليس، وأشجار النخيل العالية فيها كثيرة، إلى الرئيس، يُخطره في الأول إن لديه أسرارا مهمة يريد قولها له شخصيا، تهمّ أمن الدولة. يستجوبونه، ويضيقون عليه. وبعد الثاني الذي شكى فيه سوء المعاملة يسجنونه. وبعد الثالث يلتقي الرئيس. وفي نحو أكثر من ساعةٍ ونصف الساعة، نجحت أشعار أحمد عز الدين التي كان بعضها مونولوغات مطاوع، وكذا موسيقى صلحي الوادي التصويرية، في منح الفيلم شحناتٍ عاليةً من الإيحاءات التي أرادها، سيما وأن الفيلم اعتنى بالفقر والجوع والجهل والمرض في القرية. وكانت لقطات الوجوه، سيما النسائية، في الفيلم، من عناصر جودته، وخفّفت من بعض الضعف فيه، غير أن الأهم الأبقى أنه يبقى صيحةً ضد كل صلح مع الأعداء الإسرائيليين القتلة.

> الأهم الأبقى أن الفيلم العراقي المصري يبقى صيحةً ضد كل صلح مع الأعداء الإسرائيليين القتلة

**سعر النسخة:** مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**